دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916)

قراءة نقدية في ضوء المصادر الأصول

د. مصطفى غلفان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء عين الشق
جامعة الحسن الثاني

اقترن كتاب دروس في اللسانيات العامة Le cours de linguistique générale الصادر سنة 1916 باسم دو سوسير Ferdinand de Saussure بإشراف وعناية شارل بالي Charles Bally وزميله سيشهاي Albert Sechehaye(وهو ما نسميه نشرة بالي). وبقدر ما كانت نشرة بالي حاسمة في تلقي تصورات سوسير والتعريف بها على نطاق واسع، بقدر ما كانت مصدر سوء فهم وجدل بشأن بعض من مفاهيمها، ذلك أنَّ تلقي «دروس» إيجابياً لم يكن ليَحْجب الالتباس والارتباك الذي لامس جوانب أساسية وحاسِمة من التصورات الواردة فيه، ولاسيما القضايا والمفاهيم مثل: موضوع اللسانيات، وثنائية لسان/كلام، والعلامة والدال والمدلول، والاعتباطية، والقيمة، والدلالة، والمعنى، والصورة، وتمييز اللسانيات التعاقبية عن اللسانيات التزامنية. وأشارت بعض الدراسات النقدية إلى ما تضمنته بعض فقرات دروس من التباس بسبب سوء الصياغة. ونص دروس؛ مُشْكِل لا بمضامينه وتصوراته وحسب؛ وإنما أيضاً بطبيعته الفريدة كنص وهي طبيعة تطرح أسئلة تمسُّ علاقة المؤلِّف بعمله:

وظلت نشرة 1916 بالرغم من كل الملاحظات النقدية، الوثيقة الوحيدة التي تحيل على تصورات سوسير. لكن ملامح منعطف جديد في التعامل مع نشرة بالي، بدأت تلوح في الأفق مع أعمال روبرت غودل Robert Godel 1902-1984 حين شرع سنة 1954 في نشر نصوص جديدة منسوبة إلى سوسير وإلى الطلبة الذين استمعوا مباشرة إلى دروسه وهو العمل الذي طوره المحقق رودولف إنغلر ما بين 1968 و1974 في طبعته النقدية الهائلة لنشرة بالي. وبفضل صرامة الدِّراسات الفيلولوجية التي قامت بتحليل نصِّ دروس تحليلاً فيلولوجياً دقيقاً وشاملاً في ضوء مقارنته بمصادره الأصول. ويتجسد تدخل الناشرين في جوانب من المناولات الفيلولوجية والمنهجية الأساس التي قام عليها إعداد نص دروس وإخراجه، أبرزها: عدم تجانس المادة المعتمدة في دروس، وتغيير الترتيب الأصلي لموضوعات الدروس وتعديل المنظومة المصطلحية، وأخيراً إهمال الناشرين لحركية تصورات سوسير وتحولاتها اللحظية، فضلاً عن تأويلهما الخاص لتصورات سوسير.

وسنحاول في هذا المقال تقديم بعض الأمثلة الملموسة التي كشف عنها المحققون الجدد لنص دروس في اللسانيات العامة من خلال تبيان الاختلالات الفيلولوجية التي وقع فيها الناشران شارل بالي وزميله سيشهاي.

الكلمات المفاتيح :

دروس في اللسانيات العامة- اللسانيات العامة- سوسير- نشرة بالي- تلقي سوسير- الفيلولوجيا

Critical studies of «Course in General Linguistics «by F. de Saussure

Mostafa GHELFANE
Casablanca-Maroc

Abstract :

Course in General Linguistics by Saussure, edited by Charles Bally and Albert Sechehaye 1916 became the basis for the structural approach shedding light on Saussure's thought .This edition was a source of misunderstanding for many of the issues in the book such as issues of the subject of linguistics, language and speech, signifie and emained, emainedness, referent, shape and concept, synchronic and diachronic linguistics. Some critical studies pointed out that some sections of the book are confusing because of the poor wording. The book is problematics also of it's attribution to the author.

The 1916 edition emained the only document that explained the authers concepts despite number of critical observations .when Godel published a new edition in 1954 a new feactures was looming.

This work was developed by Rudolph Engler between 19681974- using philological studies that revealed misrepresentation of the content of the book some inconsistencies, termes and misunderstanding of the original concepts.

This article attempts to provide some plain examples adopted by the new editors of Course in General Linguistics and the mistake made by Bally and Sechehaye.

Key words :

Course in General Linguistics- Saussure-Charles Bally and Albert Sechehaye-Saussure's thought

اقترن كتاب دروس في اللسانيات العامة le cours de linguistique générale باسم دو سوسير. وأصل الكتاب سلسلة من المحاضرات التي ألقاها سوسير بجامعة جنيف على عدد قليل من الطلبة خلال ثلاثة مواسم جامعية ما بين 1907 و1911. أي أنَّ الدروس كانت تلقى مرة كل سنتين. وبعد وفاته سنة 1913، قام زميلاه بالجامعة ذاتها؛ شارل بالي Charles Bally وألبرت سيشهاي Albert Sechehaye بنشرها سنة 1916 بمساعدة ألبرت ريدلنجر Albert Riedlinger. وبقدر ما كانت نشرة بالي وزميله حاسمة في تلقي تصورات سوسير وشيوعها عالمياً، بقدر ما كانت مصدر سوء فهم وجدل في تلقي تصورات سوسير، ذلك أنَّ تلقي دروس إيجابياً لم يكن ليحجب عن الدارسين الغموض وأحيانا التناقض اللذين طالا جوانب أساسية وحاسِمة من التصورات الواردة في الكتاب.

1 - المصادر الأصول

ظلت نشرة بالي وزميله إلى وقت قريب وتحديداً إلى منتصف القرن العشرين الوثيقة الوحيدة التي تحيل على لسانيات سوسير. ويبدو أن سلطة شارل بالي المعرفية وعلاقته الشخصية بسوسير ومكانته العلمية في الأوساط الجامعية الأوروبية وعلاقاته بكبار لسانيي الحقبة، تَحكَّمت إلى حد كبير في رسم مسار الكتاب المنسوب إلى سوسير قبل نشْره وبعده. لقد استطاع بالي أن يُبعد الكتاب عن أي مقاربة نقدية تَروم تحقيق فقراتِه، وتبحث في تدقيق طبيعة علاقته بمصادره المخطوطة. ولم يقم بالي بأدنى جهد من أجل توضيح نشرة 1916 لدروس سوسير في اللسانيات، وينير ما غمض فيها،» فلم يُبْدِيا أيَّما استعداد لنشر تلك المخطوطات. وهكذا منعا فعلياً أيَّ تقييم نقْدي للنص المُحقَّق «(هاريس،2016/2003، ص.64).

لكن ملامح منعطف جديد في التعامل مع نشرة بالي أو على الصح تصورات سوسير، بدأت تلوح في الأفق مع أعمال روبرت غودل Robert Godel (1902-1984) حين شرع سنة 1954 في نشر نصوص جديدة منسوبة إلى سوسير وإلى بعض طلبته وأبرزها، أمشاج نصوص قصيرة كتبها سوسير ما بين 1890-1894 (Godel, 1954) ومقدِّمة دروس سوسير العام الثاني 1908-1909 نقلاً عن دفاتر أحد طلبة سوسير (Saussure, 1957)

وتابع رودلف أنغلر (1930-2003) (Rudolf Engler, 1967-1974) ما بدأه أستاذه غودل في إطار مشروع يروم فحصاً فيلولوجياً شاملا لنشرة بالي من خلال مقابلتها بالمصادر المخطوطة التي اعتمدها بالي وزميله سيشهاي في إصدار كتاب سوسير سنة 1916. وتتضمن طبعة أنغلر بين دفتيها مُعْطيات نصية ذات قيمة تاريخية مرتبطة مباشرة بمحاضرات سوسير مرتبة كالتالي:

أ – نشرة بالي وزميله، مجزأة إلى مقاطع Fragments مرقَّمة من 1 إلى 3281.

ب – ملحوظات الطلبة،

ج – نصوص كتبها سوسير كملحوظات تحضيرية للدروس،

د – نصوص أخرى في اللغة كتبها سوسير وتعود إلى ما قبل إلقاء الدروس.

وجاءت طبعة أنغلر في صفحتين متقابلتين مشطورة إلى ستة أعمدة، يُعيدُ أولها نصِّ نشرة بالي وتعرض الأعمدة الثَّانية والثَّالثة والرَّابعة فقرات المصادر المخطوطة التي اعتمدها الناشران، بينما يُقدِّم العمودان الخامس والسادس فقرات نصية كانت مجهولة إبَّان صدور طبعة 1916.

وفي سياق ما أصبح يعرف بالعودة إلى سوسير في نهاية القرن العشرين؛ عرفت دروس سوسير

صدور نشرات جديدة أبرزها طبعة أيسوك كوماتسو Saussure 1993 et 1996) (Eisuck Komatsu الذي نشر محاضرات سوسير في اللسانيات العامة في ثلاثة مؤلفات مرتبة حسب التسلسل الزمني الذي ألقيت فيه وفق ما دون في دفاتر ثلاثة من أبرز طلبته وهم: ألبرت ريدلنجر Albert Reidlinger (مساعد بالي وسيشهاي في نشرتهما)، وشارل باتوا Charles Patois وإميل قسطنطينEmile Constantin. وأعاد دانيال كامبارارا Gambarara وميجيا كويخانو Quijano Mejia (نشر دروس العام الثالث وفق كراسات قسطنطين وإلى جانبها ملحوظات سوسير حول هذه الدروس(Constantin, 2005) .

وبفضل المقاربة الفيلولوجية التي اتبعها المحققون ولاسيما أنغلر تَمَّ:

- تحديد هوية مصادر فقرات نشرة بالي 1916، بتحديد أسماء أصحابها، وصفحتها حسب دفاتر الطلبة، وفق تسلسلها الزَّمني ضمن المقررات الثَّلاثة، أي انتماؤها إلى دروس العام الأول أو العام الثاني أم الثالث.
- الإشارة إلى التَّطابق اللَّفظي بين نشرة بالي والمصادر الأصول المخطوطة. والأمثلة كثيرة يتعرف عليها في الأعمدة بإشارة أنغلر إليها بالبند الغليظ.
- بسْط المقاطع التي كان يتعيَّن على بالي وزميله الرجوع إليها لإخراج طبعة 1916.
- الإشارة إلى الفقرات الواردة في نشرة بالي التي لم يتمكن أنغلر من التَّعرف على مصادرها أو توثيقها.

ولم يشكِّك لا غودل (Godel , 1959) ولا (1974-Engler, 1967) في موضوعية الناشرين وأمانتهما العلمية إزاء تعاليم سوسير، لكنهما في الوقت ذاته رسما خريطة مفصلة تحدد تدخل بالي وسيشهاي في بِناء نسيج أقسام دروس وفُصوله وفقراته جمله وأحياناً كلماته. وأتاح التتبع التوثيقي رصد مستويات التَّكثيف والاختصار أو الزيادة والحذف التي أجراها النَّاشران مقارنة بمصادرها الأصول.

ويتجسد تدخل بالي وزميله من خلال جملة من القضايا الفيلولوجية والمنهجية المتعلقة بإعداد الكتاب من أهمها:

- عدم تجانس المادة المعتمدة في نص دروس في اللسانيات العامة؛
- تغيير الترتيب الأصلي لموضوعات الدروس،
- تأويلات الناشرين الخاصة لتصورات سوسير. .Louis- Jean Calvet,1974, p. 17
- تعديل المنظومة المصطلحية.
- إهمال الناشرين لصيرورة تصورات سوسير خلال فترة إلقاء الدروس.

2 - عدم تجانس مادة دروس

لكي يستقيم التعبير عن تصورات سوسير، صحَّح الناشران المادة المقتبسة من النصوص الأصلية، وحسَّنا أسلوبها، وأعادا صياغتها، مضيفين-دون الإعلان عن ذلك -كلمات وجملاً وتعبيرات من صنعهما، كما حذفا ما اعتبراه زائداً. ويمكن إجمال تدخل الناشرين في عدم تجانس المادة المعتمدة، وتغيير الترتيب الأصلي للموضوعات، وتعديل بعض المصطلحات، وإهمال حركية تفكير سوسير، فضلاً عن تأويلهما الخاص لتصوراته.

يقوم تكوين نص دروس في اللسانيات العامة الذي نشره بالي وزميله على أساس المصادر التي تضمنت مادة المُلاحظات التي دوَّنها طلبته أثناء فترة إلقاء المحاضرات(...)، ولاسيما دروس العام الثالث. أما

غـودل فاعتمد مـا أصبح متاحـاً في مكتبـة جامعة جنيف العموميـة من مصادر جديـدة. فقد تلقـت إدارة الجامعة مـن أسرة سوسير سنـة 1955 رصيداً مـن المخطوطات الجديـدة؛ وتسلَّمـت الجامعـة أيضـاً من السيـدة بالي في السنـة نفسها مَخطوطـات ووثائق تتعلـق بدروس سوسير كانـت في حوزة زوجهـا. (Godel, 1959, p. 10). غير أننا حين نقـارن مصادر نشرة بـالي بالمصادر المخطوطة التـي أوردهـا غـودل و(19741967Engler-,)، تبـدو طبعـة 1916 مبتـورة جداً، فهي لم تعْتمِـد حتى المصادر التي أشار إليها الناشران ذاتهما، وإنما اكْتفت بجزء يسير منهـا يتمثل في دفاتـر ثلاثة طلبة هـم: فرانسيس جوزيف Francis Joseph وهيلـين Hélène de Bourdet دو بوردي (ستصبح السيدة سيشهاي فيما بعد CLG/ De Mauro, p. note 12) ودفاتـر جـورج دوكالييه على وجـه الخصوص (Gambarara, 2005, p. 30). أما الخـرق السافر لثبوتيـة وصدقية العمـل الفيلولوجي الذي قام بـه الناشـران فيتجلـى في إضافتهما مـواد من خارج مقـررات دروس سوسير في اللسانيات العامة، حين اقتبسا فقـرات من مَخطوطة بعنوان: ملحوظات من أجل كتاب في اللسانيات العامة كتبها سوسير ما بين 1893 و1894، حين كان يفكر في إصدار مؤلف في اللسانيات العامة. والكلام في نص دروس في اللسانيات العامة عن الفونولوجيا والمقطع يرجـع الجـزء الكبـير منـه إلى مُدوَّنـات بـالي المختزلة sténogrammes للمُحاضرات التي ألقاها سوسير حول المقطـع بالجامعة الصيفية بِجنيف سنة 1897 (CLG/ De Mauro, p. 63). وتظهـر مقاطع نشرة بالي وزميله عـن الفونولوجيا في طبعة أنغلر (CLG/ Engler, 1. p. 107 et pp. 100-108). مُخففَّـة جـداً أو لا مقابـل لها في ملحوظـات الطلبـة. (Engler، ص 125-126 و129 و135-137 و139-146).

Principes de phonologie: Le phonème dans la chaîne parlée

variations de l'un d'après les variations de l'autre; le fait seul qu'il y a deux éléments entraîne un rapport et une règle, ce qui est très différent d'une constatation. [892] Dans la recherche du principe phonologique, la science travaille donc à contresens en marquant sa prédilection pour les sons isolés. [893] Il suffit de deux phonèmes pour qu'on ne sache plus où on en est. [894] Ainsi en vieux-haut-allemand *hagl, balg, wagn, lang, donr, dorn* sont devenus plus tard *hagal, balg, wagan, lang, donnar, dorn*; ainsi, selon la nature et l'ordre de succession en groupe, le résultat est différent : tantôt une voyelle se développe entre deux consonnes, tantôt le groupe reste compact. [895] Mais comment formuler la loi? [896] D'où provient la différence? Sans doute des groupes de consonnes (*gl, lg, gn*, etc.) contenus dans ces mots. [897] Il est bien clair qu'ils se composent d'une occlusive qui dans un des cas est précédée, et dans l'autre suivie d'une liquide ou d'une nasale; mais qu'en résulte-t-il? [898] Aussi longtemps que *g* et *n* sont supposés quantités homogènes, on ne comprend pas pourquoi le contact *g–n* produirait d'autres effets que *n–g*.

App. 13 § 1 al. 5 89 (78)

[892] A côté de la phonologie des espèces, il y a donc place pour une science qui prend pour point de départ les groupes binaires et les successions de phonèmes, et c'est tout autre chose. [893] Dans l'étude des sons isolés, il suffit de constater la position des organes, la qualité acoustique du phonème ne fait pas question; elle est fixée par l'oreille, quant à l'articulation, on a toute liberté de la produire à son gré. [894] Mais dès qu'il s'agit de prononcer deux sons combinés, la question est moins simple, on est obligé de tenir compte de la / [81] discordance possible entre l'effet cherché et l'effet produit; il n'est pas toujours en notre pouvoir de prononcer ce que nous avons voulu. [895] La liberté de lier des espèces phonologiques est limitée par / [79]) la possibilité de lier les mouvements articulatoires. [896] Pour rendre compte de ce qui se passe dans les

[892–902] [éd.; > 713]

[896] 2e éd. des / espèces

Principes de phonologie: Le phonème dans la chaîne parlée 126

وكشفت دراسات أخرى (Rousseau, 2006) إقحام الناشرين جزءاً من الدروس التي ألقاها سوسير حول اللسان القوطي ما بين1881 و1890 بباريس حين استقدم لتدريس اللغات الهندية الأوروبية القديمة بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا.. وإذا تحرينا الدقة، فإن الخطاطة: ((CLG/ De Mauro, pp. 120-121.

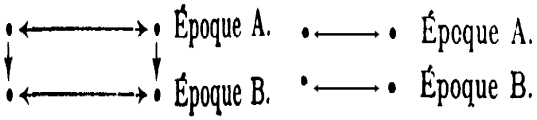

تعود إلى هذه الفترة أي ما بين 1881 و1890، ولا وجود لها ضمن ملحوظات الطلبة (CLG/ Engler, 2, p. 187).

ويشير دو مورو (CLG/ De Mauro, p. 449, Note 157) بدوره إلى أنَّ فقرات محددة حول تحول العلامة la mutabilité du signe (CLG/ De Mauro, p. 109) لا وجود لها ضمن دروس سوسير في اللسانيات العامة وإنما هي موجودة أصلاً في المقالة التي كتبها سوسير بمناسبة تأبين العالم الأميركي ويليام ويتني سنة 1894. يُمكن الاطلاع عليها الآن في (Saussure 2002, p. 209 et sv)). كما أدمج الناشران مواد أخرى لا علاقة لها بدروس سوسير في اللسانيات مثل الدروس التي ألقاها سنة 1911 حول اشتقاق اللسانيين الإغريقي واللاتيني المدونة في دفاتر بروتش (CLG/ De Mauro, pp. 238 -259). وتعد دروس الاشتقاق آخر دروس ألقاها سوسير قبل أنْ يتوقَّف عن التَّدريس بِسَبب مرضه.

3 - تغيير ترتيب الموضوعات:

يتضح من دفاتر الطلبة التي نشرها كوماتسو (Saussure, 1993et 1996) أن النَّاشرين بالي وسيشهاي أذابا مواد دروس الأعوام الثلاثة ضمن فصول جديدة بالرَّغم من عدم تَجانُسها واختلاف عرضها زمنياً، عامِدَين إلى تنْظيمها وفْق ترْتيب يُناسِب رؤيتهما الخاصة دون اكتراث بالدَّوافع التي وجَّهت سوسير في تَسلْسُل موضوعاته، وجعلته يعْمل على الرَّبط بيْنها، ومن ثمة فإن «التسلسل الفاعل للأفكار الذي ربما كان واضحاً للتلاميذ الذين حضروا محاضرات سوسير (...) قد ضاع في خضم عملية إعادة الترتيب الكبرى التي فرضها المحققون(يقصد بالي وزميليه) لاحقاً على مدونات المحاضرات « (هاريس، 2016/2003، ص. 62). ويبدو أن الناشرين لم يَحترما أمرين اثنين:

أ – التسلسل الزمني للموضوعات

ب – السياق المعرفي الذي وردت فيه.

وإذا كان معروفاً أن الناشرين استندا في تكوين دروس في اللسانيات العامة إلى مادة دروس العام الثالث، فإنهما لم يحترما التصميم الإجمالي التي اتبعه سوسير فيها، حيث قسَّم – حسب كراسات الطلبة – مقرر العام الثالث إلى جزأين مترابطين يتناول أولها تنوع الألسن، بينما يتناول الثاني مفهوم اللسان. أما الناشران فعكسا الترتيب واضعين مفهوم اللسان في المقدمة والفصول الأولى من دروس في اللسانيات العامة (CLG/ De Mauro, pp. 23-43) ، بينما وضعا كل ما يتعلق بتنوع الألسن في نهاية الكتاب (CLG/ De Mauro, p. 261) في فصْل لا يُثير انتباه القارئ بشَأن مسائلَ عدَّها الأستاذ مُقدِّمات أساسية لما سيتحدث عنه لاحقاً. ولم يكن إبعاد قضايا تنوع الألسن من بداية الكتاب رغم إلحاح سوسير –حسب ملحوظات الطلبة دائماً –على العلاقة القوية بين مفهوم اللسان وتنوع الألسن، سوى تأكيدهما المقصود حصْر موضوع اللسانيات في اللسان بالصيغة الشهيرة التي أثبتاها في نهاية دروس « إن

موضـوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو اللِّسان في ذاته ومن أجْل ذاتِه(CLG/ De Mauro, p. 317) «.

أمـا المِثال الثَّاني على الاختـلال النـاجم عن تغيير ترتيـب موضوعـات الدروس فيتعلـق بِمفهـوم القيمـة Valeur. فقـد تحـدث عنـه سوسـير في دروس العام الثـاني أثنـاء حديثـه عن اللسـان كنسق مـن القيم، ثم تناولـه مجدداً في دروس العام الثالث مبينـاً أهميته في الكشف عـن الطبيعة النوعيـة للأنسـاق السيميولوجية وفي مقدمتهـا اللسان البشـري) Saussure 1996 (. فمفهـوم القيمة كأساس للتنظيم الخلافي بين الوحدات، أو مـا أسماه مطابقة الوحـداتIdentité des unités يقـود إلى اعتباطيـة العلامة، لأن مفهـوم القيمة نتيجة لتمييـز اللسـان عن الـكلام باعتبار القيمة مـن اللسان وليس الكلام. أمـا في نشرة بالي فالأمـر مُخْتلِف، فقد جـاء الكلام عن ثنائيـة لسـان/ كلام (الصَّفحة 38)، قبـل الحديث عن مطابقة الوحدات اللغوية (ص 249)، بينمـا ورد في ص 150 كلُّ مـا يتعلـق بِمفهـوم القيمة. ولاتبـاع التَّرتيـب الأصلـي، يتعـيَّن البدء في نشـرة بالي بالبـاب الثامن مـن القسم الثالـث وعنوانـه: الوحدات والمطابقـات والحقائق التعاقبية، ثمَّ العودة إلى البابين الثالـث والرابع من القسم الثاني: المطابقات والحقائق والقيم والقيمة اللغوية، ومنه إلى الباب الأول من القسم الأول، وعنوانـه طبيعة العلامة اللغوية، وصولاً إلى الباب الثالـث من المقدمـة (موضوع اللسانيـات) (Calvet 1974, p. 20).

4 - إضافات الناشرين.

لم يكتـف النـاشـران بتغيـير ترتيـب الموضوعـات وتسلسلهـا؛ بل إنَّهما أضافا العديد من الفقرات والجمل والكلمـات. وتكْمُن خطورة هـذه الإضافات في أنَّها توجه تأويـل تصورات الأستاذ في اتجاه قـد لا يكون بالضرورة مـا قصده صاحبها، إذ كان بعضـ إضافاتهما حاسماً لا في رسـم معالم لسانيات سوسـير فقط، وإنَّما اللسانيات الحديثـة برمتها بتوجيـه مسارها النظـري والمنهجي. وقدَّم غـودل(129-Godel, 1957. pp. 115) عينة من الفقرات المضافة ومنها:

دروس	موضوع الفقرة	نص الفقرة المضافة
صفحة: ف 24 /ع 28	لغة الأطفال	مـن:» كـأن نبـدأ على سبيل المثال بدراسة لـغـة الأطـفـال إلى: الحلقة المفرغة «.
ف38/ع 41	تعلم اللغة الأم	من » إننا إنما نتعلم لغتنا الأم «إلى» يحصى من التجارب «.
ف 99/ع 111	العلامة	(مـضـمـون هـذه الـصـفـحـة مضاف إلا الجملة الأخيرة وخطاطتان من بين الخطاطات الثلاث، مع تغيير رسمهما.

ولمَّا كان عدد الإضافات في الفصل المتعلق باعتباطية العلامة وبِخَطِّيتها Linéarité مرتفعاً، فإن غودل

وضـع لها ملحقاً قابـل فيه فقرات دروس بما ورد في دفاتر الطلبة (129–Godel, 1957 pp. 122).

– ف150-151 /ع167-168 التعليـق على المثال المعروف «سيداتي» بأكمله من وضع الناشرين.

ومـن السهل على قارئ طبعة أنغلر الوقوف على هذه الإضافـات حسب ما تتضمنـه الأعمـدة المقابلة لنص دروس من فراغات قد تكبر أو تصغر. (لمزيد من الأمثلة انظر: غلفان 2016أ)

لكـن أهـم إضافة تتمثل في العبـارة الشهيرة التـي ختم بِها الناشـران دروس:» إن موضوع اللسانيـات الوحيد والحقيقي هو اللسان في ذاته ولذاته(CLG/ De Mauro, p. 317) «، وهي

العبـارة التي يُمكن الجزْم بأنها من وضْعهما (Godel, 1959. p. 181) ، إذ ليْس في المصادر الأصول لدروس في اللسانيات أو في غيرهـا ما يسْمح بالقَوْل بأنَّ الأستاذ عبَّر عن بهذه الصيغة أو بأخرى (Rastier, 2009, p. 5) . ويُؤكِّدُ بوكيه أنَّ الجُمْلة كانت رائجـة لا عند فرانز بوب فقط، وإنمـا، سنة 1883 عند مؤلفين معاصرين لسوسير في الصيغة قريبة جداً:» إن اللسانيات تدرس الألسن في ذاتها ولذاتها«(Bouquet, 1997, p. 266[1]) .

وتوخَّـى النَّاشِران من الجملة السَّابقـة خاتِمةً توجيهَ قارئ دروس نَحـو ترسيـخ تصـور مُفـاده أنَّ سوسير اهتـم باللسان المجرد وأهمـل دراسة مظاهر النشاط اللغـوي الفعلي المتمثل في الـكلام. ولا شكَّ أنَّ الفكرة الإجماليـة للجملة المنحولةَ لها ما يدْعمها عند سوسير؛ إذْ يَتَردَّد صداها في ملحوظات الطلبة. فقد كتـب الطالب قسطنطـين:» يُمكننا أن نقـول بأننا باختيار اللسان كمركـز ونقطة انطلاق (CLG/ Engler, 1, p. 52, IIIC274.321) «. وكتب الطالب جوزيف: » حين نعتبر اللسان شيئـاً أولياً، فنحن ننطلق منه كأفضـل أرضية forme Plate للوصـول إلى عناصر اللغة الأخـرى« (CLG/Engler, 1, p. 52. J153. 321). لكن السياق الَّذي وُضعت فيه الجملة جعل لسانيات سوسير تأخـذ اتجاهاً آخر لم يخطر بذهن من نُسِبت إليه، إذ كان صاحب الدروس يفكر من خلال إلحاحه على أهمية مفهوم اللسـان في إعْداد الأسس النظرية التي تَجعل اللسانيات علماً باللسان مَجالاً له استقلاليته (Calvet, 1974, p. 23) . وقد أشار أماكر (1975, p. 23) إلى أنه لا ينبغي تأويل العبارة السابقة علـى أنَّها حَصْرية، وأنْ لا يؤْخـذ الموضوع المقصود منهـا-أي اللسان-على أنه «الشيء» الوحيد ضمن أشياء أخرى مـن الظَّاهـرة اللُّغوية التـي يتَعـيَّن أنْ تَدْرُسهـا اللسانيات؛ بَل يَجـب أنْ تُؤْخذَ العبـارة كمبدإ منَظِّم ومُوجِّـد للكُتْلة المُتنافِرَة مـن المعْطيات الَّتي تتَشـكَّل منها مـادَّةُ اللِّسانيات. ويتبين من ملحوظـة دونَّها سوسير نفسُه وهو يهيـئ دروس العام الثاني أن الرجـل كان واعيـاً بوجود لسانيات الـكلام إلى جانب لسانيات اللسان. وبعـد أن دوَّن النقط التي كان عليه أن يتحدث عنها في موضـوع الازدواجية ومن بينها تمييـز اللسان عن الكلام، ختَم ملحوظاتـه قائلاً: هنا للمـرة الأولى مسألة لسانيتين « (يقصد لسانيـات اللسان ولسانيات الـكلام Ici pour la première fois question de deux linguistiques). (Saussure, -20002, p. 299. (Notes pour le cours II 1908 1909).. وتكْشِـف المصـادر الأصـول، سعـي الناشرين إلى إبْعاد كل ما يتعلق بالنشاط اللغوي عند الفرد المتكلم من دائرة اهتمـام اللسانيات. جـاء في دروس « إن نشـاط الفرد المتكلم يَجـب أن يُدرس ضمن مَجموعة من المجـالات التي ليست لها أي مكانـة في اللسانيـات إلا في نطـاق مـا له علاقـة باللسان « (CLG/ De Mauro, p. 37) ولا تتضمن ملحوظات الطلبة عِبـارة « نشاط الفرْد المُتكلِّم»، ممَّـا يُبين أنَّ اسْتِحْضارَها من قبـل الناشرين كان للفْت الانْتِباه إلى إبْعاد سوسير كُل ما يَمس دَوْر الفـرْد المتكلم من حقْل اللسانيـات. فقد كتب قسطنطين: «ويبقـى مع ذلك أن نَهتم (بدراسـة) الفرد، إذ من البديهي أن مشاركـة جميع الأفراد هي بالفعل التـي تَخْلُق الظَّواهِر العامة، ومـن ثمـة يتعـيَّن أن نلقي نظرة علـى اشتغال اللغـة عند الفرد المتكلم. ولا يندرج تنفيذ الفرد للنتاج الاجتماعي في الموضوع الـذي سبق أن حددنـاه. وسيكون علينا في هـذا الفصل الثالث أن نبين الخبايا le dessous والإوالية الفردية mécanisme individuel التـي سيكـون لها في النهايـة بطريقة أو بأخرى آثار على النتاج العام، ولكن لا يَجب خلطها في دراسة النتاج في حد ذاته» (CLG/ Engler, 1, p. 66. IIIC III) .

ويتَّضـح من المصـادر الأصول أن سوسـير كان بعيداً عن النظرة الإقصائية للكلام التي ألصقها به الناشران. فقد كتب في إحـدى قصاصاته: «إن اللسانيـات واسعة وبالأخص تضم قسمين: قسْـم أقرب إلى اللسـان المستـودع السلبي والقسم الآخـر أقـرب إلى الـكلام القوة الحيـة والمصـدر الحقيقي للظواهر التـي سنلاحظها لاحقاً تقريبـاً في القسم الآخر من اللغـة». (Saussure, 2002, p. 273) ويلـح سوسـير في إحـدى المخطوطات المنشـورة مؤخراً علـى أهمية الكلام في النشـاط اللغوي عند الفرد المتكلـم « لم يُخلق اللسان إلا من

(1) ويتعلق الأمر بالمؤلف الجماعي Dictionnaire des sciences anthropologiques. Paris. Douin. 1883. لمجموعة من المؤلفين من بينهم: Bertillion. Courdereau. Hovelacque et alii. . وجاء ذكر هوفالك في المحاضرة الأولى بجامعة جنيف سنة 1891، باعتباره أحد أتباع التصور الطبيعي في دراسة اللغة. (Saussure. 2002. p. 154).

أجـل الخطاب. فمـا الذي يفصل الخطاب عـن اللسان، أو ما الذي يسمح لنا أن نقول في لحظة معينة إن اللسان يدخل حيز الفعـل بوصفه خطابـاً؟ «. (Saussure, 2002, p. 277). ويُمكن اعتبار حصْر موضوع اللسانيات السوسيرية في اللسان بمثابـة فرصة سانحة للناشرين لتأكيد أهمية لسانيات الكلام التـي كانا يدافعان عنْها، كل بطريقته الخاصة، سواء في إطار نظريـة القول Enonciation عند بـالي أو في إطار لسانيات الكلام المنظمLinguistique de la parole organisée عند سيشهاي (غلفان 2014). وحرص النَّاشران في أعمالهما العلميـة الخاصة بهما على صياغـة مغايرة لموضوع اللسانيات لا تقـف عنـد حدود ما عبَّرا عنه في نصـ دروس بشأن مفهوم اللسان المثالي والمجرد عند سوسير كموضوع وحيد للسانيات.

هكـذا إذن يصبح نص دروسـ في اللسانيات العامة مصدر انـزلاق حاسم حدَّد مصـير اللسانيات الحديثة مدة غير قصيرة. لكن ما مرد هذا اللبس؟ يجيب أريفيه» إنـه مفهوم الكلام الذي أسيء فهمـه من قبل النـاشرين «(أريفيه، 2009، صـ. 74 هامش رقم 20). ويبدو أن النـاشرين لم يُميزا جيِّـداً في دروس سوسير بين دلالتين مختلفتين للـكلام: الكلام بمعنى فعل التصويت والكلام كممارسة للملكة اللغوية وذلك عندما يقابل اللسان اللغة حيث يصبح فعل التصويت جزءاً مكوناً من اللسان. وقد أبْعَـد النَّاشـران مفهوم الكلام كملكة لغويـة حيث أبعده سوسـير باعتباره مُجرد فعل إصدار الأصوات. (أريفيه، 2009، ص. 160-161).

5 - الحذف: دلالاته وأبعاده

لنلاحـظ في الصورة التالية مـن أنغلر Engler, p. 78)) فقـر نشرة بـالي (العمـود الأول يسـاراً) مقابل ملحوظـات الطلبة في باقي الأعمدة، مما يجسد بالملوس ما حذفه الناشران من كلام سوسير.

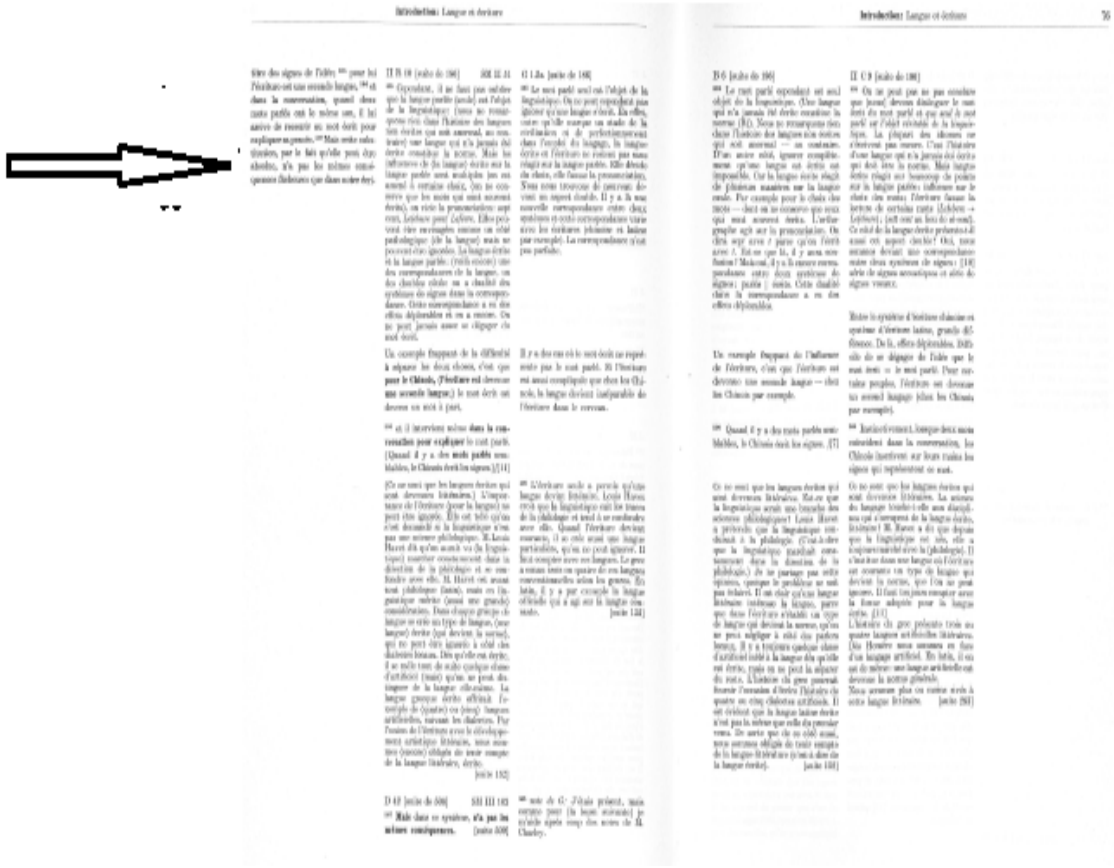

لكـن أبرز ما حذفـه الناشران مُقدمـةَ دروس العام الثـاني التي تتضمـن الخطوط العامة لمشـروع سوسير حـول السيميولوجيـا. والمقدمـة» تـدُلُّ علـى مزيـد من الجـرأة النظرية وتفاجـئ القارئ بالطريقـة الشجاعة والسريعـة وشبـه المثـيرة التي عولجـت بِهـا المسائل الأساسيـة. كمـا أنَّهـا تُمثِّل أيضـاً أولَّ تقـديم مُتماسك للسانيـات السوسيريـة يُلخِّصُ جوهرَ فكـره في معالجة اللغـة مـن منظـور السيميولوجيـا1959، » (Godel p. 35)، وأبـرز سوسـير في المقدمـة أهميـة اللسـان البشـري ومكانته المتميزة ضمن الأنساق السيميولوجية، مُحـاولاً الإجابة عن بعض الإشـكالات الجوهرية: لماذا يجـب النظر إلى اللسان مـن زاوية السمات المشتركة مع أنسـاق سيميولوجية أخرى؟ لماذا يعتـبر اللسان منوالاً Patron للسيميولوجيـا؟ لماذا يظل اللسان من منظور السيميولوجيـا موضوعاً فريـداً؟ (Bouquet, 1997, p. 191).

فمـا هـو يا تـرى سبـب هذا الحـذف: هل هـو وعي الناشريـن بـأنَّ المقدمـة تختلف جذرياً عـن تصورات سوسـير في دروس الأعوام الأخـرى؟ أم إن ثَمة تناقضاً بين الدروس، وما تتضمنه المقدمة؟

يبـدو أن الناشرين لم يدركا طبيعة الفجوة الحاصلة بـين ما عرضـه سوسـير في مُحاضرات أخـرى وما جاء في المُقدِّمـة التـي تشكل جوهر تصوراتـه، وعنها انبثقت مفاهيم أخرى مثل؛ اعتباطية العلامة والخطية والقيمة والآنيـة واجتماعية اللسان، أي كل ما يجعل اللسان نظام تواصل اجتماعي بامتياز.

6 - تعديلات أخرى

ومـن الأمثلـة التـي تؤشـر علـى تدخـل الناشريـن في تكويـن دروس قولهمـا:» لئـن كان للكلمـة الفرنسية mouton الدلالة نفسها التي للكلمة الإنجليزية sheep فإنـه ليس لهما نفس القيمة (CLG/ De Mauro, p. 160) فإنهمـا أضفيـا الشرعيـة على الدلالـة الإحالية Sémantique référentielle القائمـة على التعيين Désignation؛ وليـس القيمة، بيْنما نعرف أنَّ سوسير يرفض صراحـة التَّصور الإحـالي»(Rastier, 2015, p. 27) ، بينمـا تكشـف دفاتـر الطلبـة أن سوسير « لم يقـل أشيـاء كثيرة يقوِّلـه إيَّـاه النص المنشـور في عام 1916. إن ما قاله سوسير ببساطة أن كلمتي mouton الفرنسيـة وsheep الإنجليزيـة لا يُمكـن أن تكون لهما القيمـة نفسهـا، وأنَّ التوْكيد غير المسـوّغ –مع ذلك–أن لهاتـين الكلمتـين دلالة واحـدة هو من وضـع المحققين «(هاريـس، 2016/2003، صـ. 78). والاكتفـاء في نشـرة بـالي بفقرتـين في موضـوع القيمة يوحـي بتأويل سوسـير لهـذا المفهوم كبديـل لنظريـة المواضعة كما كانـت تتصور في القرن التاسـع عشر، لأن العلة الوحيدة لوجود القيمة هي الاستعمال والموافقة العامة، غير أننا لا نجـد في ملحوظـات الطلبـة كلمتي استعمـالusage وموافقـةconsentement اللتين تدْعمان هذه الوجهة في التأويل. ولا تجعلنـا المصادر الأصول نبتعد عن فهم مبدإ القيمة بربطه بالمواضعةconvention وحسب، بـل إنَّها تعكـس في الوقت ذاته فهْـم النَّاشريْن المغلوط لمفهـوم القيمة عنـد سوسـير. (Meijia Quijano, 2005)

ومن التعديلات التي قادت إلى موقف مغاير لموقف سوسير التغيير الـذي أدخله الناشران على رسم مدارة الكلامcircuit de la parole الوارد في طبعة 1916. .F. de Saussure, CLG./De Mauro, p. 27 (دروس في الألسنية العامة، ص، 31)

أ ب

ولنمـوذج التواصل المُقـدَّم في دروس مصدر موثق ضمن مَخطوطات الدروس.

F. de Saussure, CLG./ Engler,1, p. 37. D174169. S.2.5195. IIIC266.

، لكـن النَّاشرِيْن عدَّلاه، إذ لا تُظْهِر رسوم الطلبة في كراساتهم أي رابط بين الأذن والدماغ..

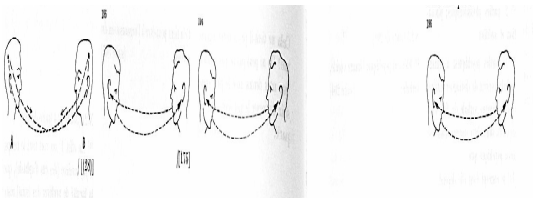

ويظهـر الفـرد في رسـم سوسـير في حالـة سَمـاع Audition أي أنـه فرد سامـعAuditeur وليس فرداً متكلمـاً Locuteur وهـي طريقـة أخـرى يقـول مـن خلالهـا سوسير أن السَّهم الرابط بـين الدال والمدلول لا يُمكنـه أن ينطلق إلا من الدال نحو المدلول أي أن ثمة طريقـة واحدة وليس طريقتان كمـا يعبر عن ذلك رسم بالي وسيشهـاي ذي السهمـين في الاتجاهين كما سنرى لاحقـا.(Gabriel Bergounioux, 1993, pp. 361-377.) والاختيار القائـم على أن يسبق المدلولُ الدالَّ ليس موقف سوسير، وإنَّما هو تأويل من الناشرين وتعبـير عـن تصورهمـا الخاص الـذي يؤكـد أسبقية المفاهيـم وأولويتها ضمن حقائـق اللسان(Ibidem. p. 377) ويُجسِّـد الرسم الذي وضعـه النَّاشِران دعوة صريحة إلى الانغماس في نظرية نفسانية تبالغ في تقدير دور الفكـر وأهميتـه، فكْر قائـم بذاته ومستقـل عن أي شـيء آخر، وهو أيضاً فكْر جاهز وموجود في دماغ الفرد المتكلم، ينتظر من يَمده بالأصوات للتعبير عن نفسه

F. de Saussure, CLG./De Mauro, p. 28، (دروس في الألسنية العامة، ص، 32)..

لكـن المهم بالنسبـة إلى الرسم السابـق؛ أنَّ الفقرة التـي تلتـه وتُمثِّـل ثلثـي الصفحـة François 28 Rastier,2009 et 2012,p.10. من نشرة بالي ليس لها أي مصدر معروف ضمن المصادر الأصول. أما اللغة الفيزيولوجية التي كتبت بِها الفقرة فهي أبعد ما تكون عن لغة سوسـير؛ مِمَّا يفضح انتحـال النـاشرِيْن المكشوف François Rastier,2009 et 2012,p.10.

ومن مظاهر الإرباك الذي أدخلته صياغة النـاشرِيْن ما نقرأه في دروس:» ويؤيد ذلك ما يوجد في الألسن من فـوارق في تسميـة الأشياء بـل واختلاف الألسـن نفسه. فالمدلول «بقرة» دالُّه بقرة (الباء والفتحة والقاف الخ) في العربيـة وboeuf»(بـوف) في الفرنسيـة و«Ochs» (أوكس) في الألمانيـة.» F. de Saussure, CLG/ De Mauro, p. 100 ويفهم من هذا الكلام أن هناك مدلولاً واحداً هو» bœuf» يتحقق بطرق متنوعة حسب الألسـن؛ بينمـا الأمـر بالنسبـة إلى سوسـير أن هناك مدلولين: مدلول «ثور» bœuf ومدلول « «Ochs» 1993 Gabriel Bergounioux. ولم يكـن لجوء النـاشرِيْن إلى عبـارة «يستدعي وجـود أحدهما وجود الآخر» F.de Saussure, CLG/De Mauro, p. 99.(دروس في الألسنيـة العامة ،ص 111) لا لازمـاً ولا ضرورياً، لأنَّها تفترض أنَّ الـدَّال والمدلول لهما وجـود قبلي ومستقل؛ أي أنـه يُمكن أن ينظـر إلى الدال كصعيد Plan مستقل عـن المدلول والعكس؛ وأن الاعتباطيـة تطال كل صعيد منهما على حدة. والمعلوم أن ما هو اعتباطي عند سوسير هو الرابط القائم بين صعيدي الدال والمدلول. واستعان الناشران برسم توضيحي للاتحاد بين الدال والمدلول:

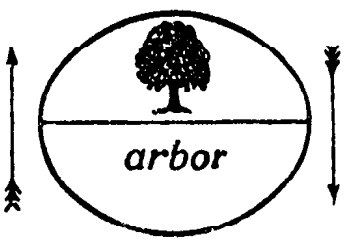

(خطاطة 5)

F.de Saussure, CLG/De Mauro, p. 99.(دروس في الألسنية العامة ص، 111

يُمثل في الجزء الأعلى من الرسم للمدلول signifié وفي الأسفل للدال Signifiant بينما يُحدد الشكلُ الدائري العلامة. أما السهمان فيشيران إلى أن وجهي العلامة أي الدال والمدلول غير قابلين للانفصال indissolubles. والتعبير عن الدال برسم الشيء الذي يحيل عليه أي «الشجرة» في الخطاطة 3، إقحام من الناشرين للشيء الموجود في العالم الخارجي ليس له ما يبرره. وبذلك تعود خطاطة الناشرين لتسقط في تصور اللسان كثبت من الألفاظ الذي رفضه سوسير في دروس صفحتين قبل ذلك René Amacker, 1974 p. 86). ويتضح بالعودة إلى المصادر الأصول أن الخطاطة 3 مرفقة بسهمين يربطان بين الدال والمدلول ويسيران في الاتجاهين F. de Saussure, CLG/Engler, 2, p. 150. D 186. CLG/De Mauro, p. 99.(دروس في الألسنية العامة ، صـ 110) ليس لها ما يقابلها في كراسات الطلبة F.de Saussure, CLG/Engler, 2 ..p.150. D1861107

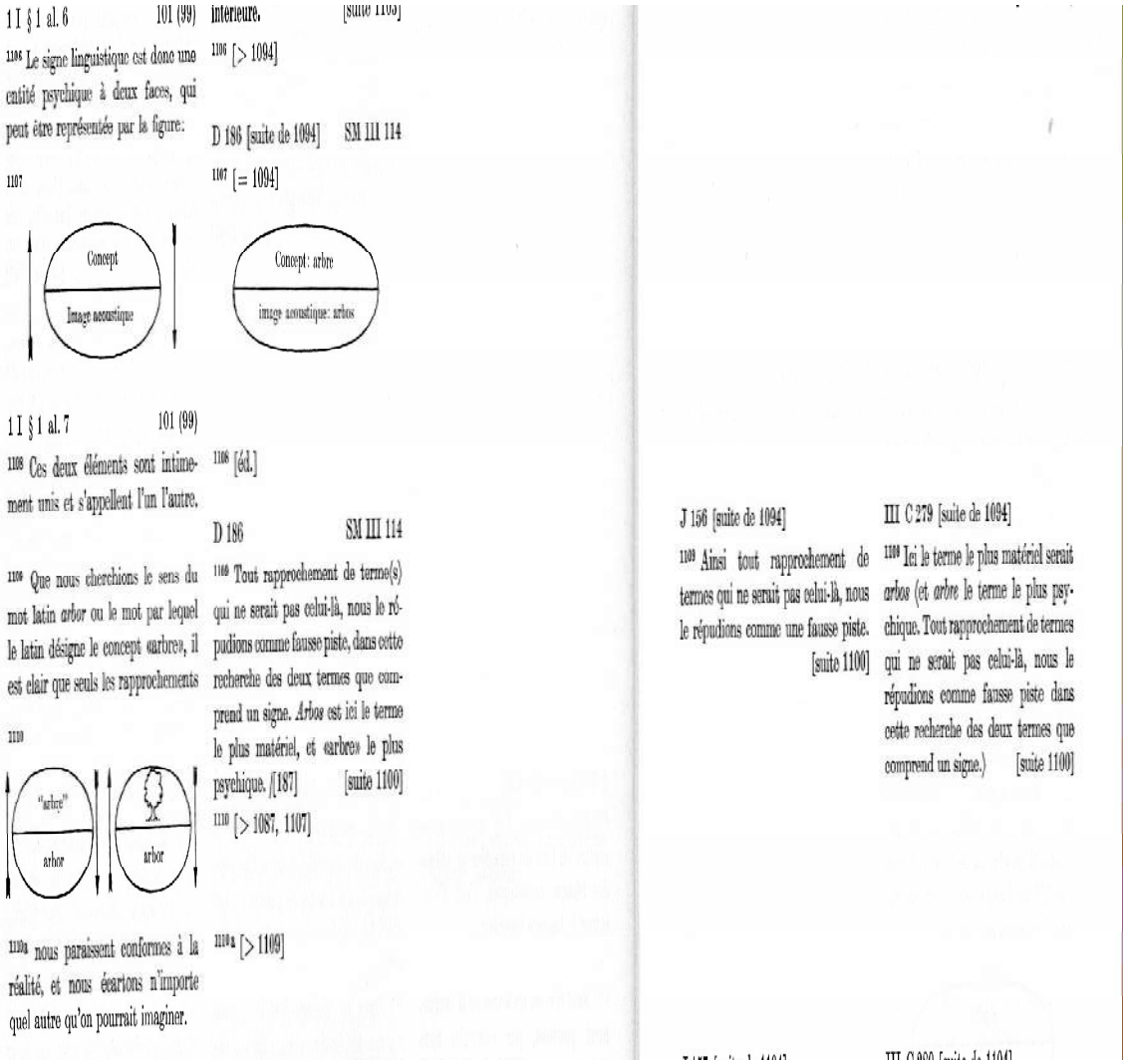

وفي مواضع أخرى من دفاتر الطلبة نجد أن الخطاطة مصحوبة بسهم واحد فقط ينطلق من الدال إلى المدلول كما هو مبين في الصفحة التالية من طبعة أنغلر.

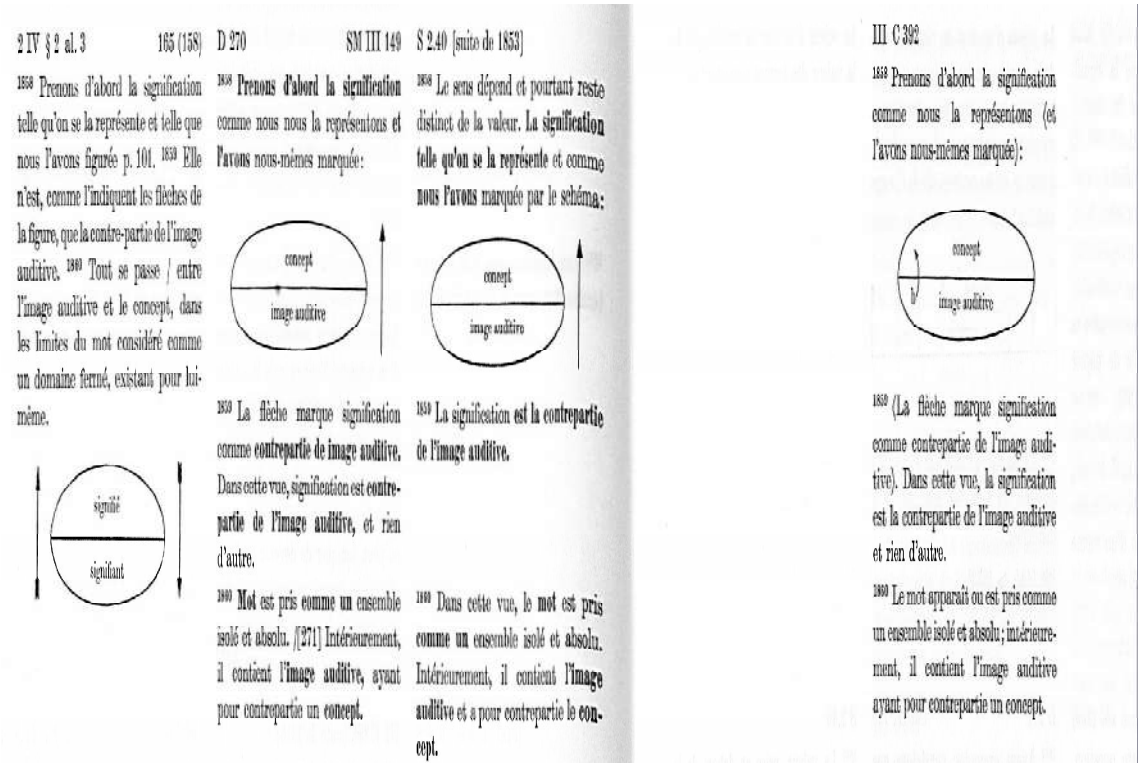

2 IV § 2 al. 3 165 (158)

1858 Prenons d'abord la signification telle qu'on se la représente et telle que nous l'avons figurée p. 101. 1859 Elle n'est, comme l'indiquent les flèches de la figure, que la contre-partie de l'image auditive. 1860 Tout se passe / entre l'image auditive et le concept, dans les limites du mot considéré comme un domaine fermé, existant pour lui-même.

signifié
signifiant

D 270 SM III 149

1858 **Prenons d'abord la signification** comme nous nous la représentons et l'avons nous-mêmes marquée:

concept
image auditive

1859 La flèche marque signification comme **contrepartie de image auditive.** Dans cette vue, signification est **contre-partie de l'image auditive,** et rien d'autre.

1860 **Mot** est pris **comme un** ensemble isolé et absolu. [271] Intérieurement, il contient **l'image auditive,** ayant pour contrepartie un **concept.**

S 2.40 [suite de 1853]

1858 Le sens dépend et pourtant reste distinct de la valeur. **La signification telle qu'on se la représente** et comme **nous l'avons** marquée par le schéma:

concept
image auditive

1859 La signification **est la contrepartie de l'image auditive.**

1860 Dans cette vue, le **mot** est pris **comme un** ensemble isolé et absolu. Intérieurement, il contient **l'image auditive** et a pour contrepartie le **concept.**

III C 392

1858 Prenons d'abord la signification comme nous la représentons (et l'avons nous-mêmes marquée):

concept
image auditive

1859 (La flèche marque signification comme contrepartie de l'image auditive). Dans cette vue, la signification est la contrepartie de l'image auditive et rien d'autre.

1860 Le mot apparaît ou est pris comme un ensemble isolé et absolu; intérieurement, il contient l'image auditive ayant pour contrepartie un concept.

F.de Saussure, CLG/Engler, 2. p. 258. D270. S.2.40. IIIC392

واعتبر دو موروF. de Saussure, C/LG/De Mauro, p. 441, note n° 132. أن هذه الفقرة تُجسد مثالاً صارخاً لما آل إليه تدخل الناشريْن في صياغة دروس في اللسانيات العامة من سوء فهم وتحريف أبرز وأشهر مفهوم في لسانيات سوسير ألا وهو مفهوم العلامة اللغوية. وموازنة بما هو وارد في ملحوظات الطلبة في دفاترهم أضاف الناشران الأشياء التالية:

أ - الخطاطة رقم 3 التي تتضمن رسم الشجرة؛

ب - إضافة سهمين ذي اتجاهين إلى خطاطات دروس،

ج - إضافة عبارة ces deux éléments sont intimement unis et s'appellent l'un l'autre أي («وهذان العنصران ملتحمان التحاماً شديداً ويستدعي وجود أحدهما وجود الآخر) التي تترجم دلالة السهمين المرافقين للخطاطة.

F. de Saussure, CLG/ De Mauro, p. 99 (دروس في الألسنية العامة، ص، 111)

F. de Saussure, CLG/De Mauro, p. 441, note n° 132.

د- استعمال لفظ (mot/كلمة) للإشارة إلى arbor

ويترتب على إضافات الناشريْن السابقة أن نص دروس يوحي بأن سوسير يذهب إلى أن الدال هو الجزء الصوتي وأن المدلول هو صورة الشيء وأن وجود أحدهما يستدعي وجود الآخر؛ وهو ما يقول به أيضاً أولئك الذين

يـرون أن اللسان ثبت مـن الألفاظ التي تقابـل أشياء أو تصـورات. فهـذه الإضافـات تجعـل القـارئ ينزلق إلى تصور نقيض تماماً لتصور سوسير. F. de Saussure, CLG/De Mauro, p. 441, note n° 132

ويذهـب دارسـون آخـرون André Pettrof, p.59 إلى القـول بأن صياغة الناشرين لمفهوم الاعتباطية تتضمـن غموضـاً ملحوظـاً يحمل بـين ثنايـاه نوعاً من التناقض.

7 - تعديل المصطلحات

جـاءت مصطلحـات دروس في صـورة نهائية، بينما يتضـح مـن المصـادر الأصـول أنَّ الأستـاذ كان حـذراً ومتردداً؛ في حسم بعض الصعوبات الاصطلاحية التي واجهته نهائياً. لقد كان سوسير قبل إلقاء الدروس واعياً بالتباس لفـظ علامـة Signe في الفرنسيـة الذي يدل إما علـى الصـوت والدلالـة Signification معاً، (أي الوحـدة اللغوية بكاملهـا)، وإما على الجانـب الصوتي فقط، وهـي بهذا المعنـى أقرب إلى الإشـارة الصوتية أو الـدال (Saussure 2002. p. 21) . ولتجاوز هذه الصعوبات، اقترح سوسـير مصطلح (Sème = سمة) بدلاً من كلمة (Signe . (Saussure, 2002, p. 105 ، كمـا استعمـل سوسـير في السيـاق ذاتـه مصطلحات مثـل؛ Sôme أو Aposôme للدلالـة على ما تعبِّر عنه الصـورة السمعيـة وContre sôme وanti sôme أوparasôme عوضـاً عـن التصـور.. p. 114 et suivantes) (Saussure, 2002

ولازمـه هذا الـتردد الاصطلاحـي إلى نهاية دروس العام الثالث حيث نجده يقر بأنه حتى باستعمال مصطلح العلامة لن نحصل على اللفـظ الذي نَحْتاج إليه للدلالة على المجمـوع، أي الدال والمدلول دلالـةً لا لبس فيها. وأيـاً كان اللفـظ الذي سيتـم اختياره سـواء كان علامة Signe أو حد Terme أو كلمة Mot ، سينزلق دون شك للدلالة على جـزء معين فقط، ولن يكون في مأمن من أنْ يدُلَّ علـى هذا الجزء وحـده (CLG/ Engler, 2, p. 151, D211. IIIC310).

لكـن نشرة بـالي تخْلو من أيـة إشـارات إلى معاناة سوسـير الاصطلاحية وقلقـه إزاءها. وفي هـذا السياق نشير إلى الخلـط والاضطراب اللذين صاحبا استخدام الناشريْن لمصطلحـات علامة ودال ومدلول، إذ لم يقف بهمـا الأمر عنـد استعمالهما مصطلحـات علامة ودال ومدلول في الفصل الأول المتعلق بطبيعة العلامة اللغوية (CLG/ De Mauro, p. 99). ، وإنمـا عمَّمـا ذلـك على نص دروس برمته دون مراعاة سواء لتحفظ سوسير وحرصه في اختيار المصطلح المناسب أو للسياق الزماني والمعرفي الذي جاءت فيه ثنائية دال/ مدلول في المصادر الأصـول. فالـزوج المصطلحـي الشهـير signifiant / دال وsignifié/ مدلـول لم يقترحـه سوسـير إلا في نهاية دروس العام الثالـث (حصة 19 مايو1911) بعد أن أشـار في (حصـة 2 مايـو 1911) إلى الصعوبـات الاصطلاحيـة التـي تفرض نفسهـا على المشتغل باللسانيـات معترفـاً أنـه لم يتوصـل إلى مصطلحـات ملائمـة للتعبـير عن مفهـوم العلامـة ومكوناتهـا: « إن القضية التي لم نتمكن مـن حلِّها والحسم فيها تتمثل في الاتفـاق على النقطة التالية: هـل نسمي الكل علامة؛ أي التَّوليـف بين المفهوم والصورة السمعية، أم إن الصورة السمعية نفسهـا يُمكن تسميتها أيضـاً بعلامة. يَجِب أن نتوفَّر على كلمتـين مُخْتلِفتـين»(TCLG/Komatsu, p. 75) وبصفـة عامة «لم تجد أي من هذه الابتكارات مـن المصطلحـات التجريبية طريقهـا إلى نشرة بالي» (هاريس، 2016/2003، ص. 316).

ويعيـب غـودل (1959, p.) وأماكـر (1975, p. 157) علـى الناشريـن إهمالهمـا البعـد الاصطلاحي لبعض الألفـاظ ككلمـة حـد terme التـي استعملهـا

سوسير استعمالاً دقيقاً فأسند لها في سياقات عدة دلالة متميزة خاصة حين ترد إلى جانب لفظ القيمة valeur. والحد بالمعنى المنطقي هو أحد عناصر القضية proposition. ويكون رابطاً بين القيمة والنَّسقsystème . فالحدُّ والنَّسق والقيمَة مكونات مُترابطة بيْنها، وبتعبير سوسير «حيث توجَد قيَّم تكون ثَمَّة حدود a des termes, il y a des valeurs « là ou il y . « (CLG/ Engler, 2, p. 257, .D269.1853, S2.40.1853.IIIC391.1853) وجاء في دفاتر أحد الطَّلبة: « يجب (...) أن نعُدَّ الكلمات حدودَ نسق. وإذا قلنا حدوداً بدلاً من الكلمات، فلأننا نتصور علاقاته مع حدود أخرى، أي فكرة الترابط بحدود أخرى(CLG/ Engler, 2, p. 251)«. لكن الناشريْن لم يعملا على إبراز القيمة الاصطلاحية للفظ «حد» بالرغم من أهميته ودوره في لسانيات سوسير ((Depecker, 2010, p. 69

8 - التحولات الغائبة

عرفت تأملات سوسير خلال فترة إلقاء الدروس التي امتدت خمس سنوات تغييرات هامةً سواء في تصور القضايا أو في طريقة تقديمها أو الاستدلال عليها. ولم يكن سوسير يَمتلك أجوبة جاهزة أو حلولاً نهائية يواجه بِها عُمق المعضلات اللغوية على العكس مما يوحي به نص دروس، سوى ما كان من صياغات متنوعة لتساؤلات لا تتوقف تظل في الغالب بلا أجوبة محددة. وكانت دروسه تختلف من عام إلى آخر مما يجسد بالملموس حركية تفكير متحول باستمرار. لقد قدَّم سوسير في العام الأول قضايا كانت متداولة في عصره كتطور الأصوات والصيغ والقياس، لكنه تناولها من زاوية نقدية ليكشف عن حدود المقاربة التاريخية وقصورها النظري نتيجة لغياب البعد التعميمي الذي يجب أن يقود إلى تأسيس لسانيات عامة. أما دروس العام الثاني فتنطلق من مبدإ تصوري يبرز لأول مرة في الدراسات اللغوية أهمية المنظور السيميولوجي الذي يَجب أن تُعالج في ضوئه أنساق العلامات ومنها اللسان كمؤسسة إنسانية وتاريخية واجتماعية وثقافية. وعمل سوسير في دروس العام الثالث على تبيان المنظور النسقي والقيمي للسان كنسق من القيم له قوانين اشتغال خاصة به ونظام انتقال وتطور يساير طبيعته (Gambarara, 2005, p. 32). وفي هذا السياق ندرك مثلاً التغيير الذي طال تعريف اللسانيات، إذ اتبع سوسير طريقتين مُختلفتين واصفاً الأولى بالخارجية والثانية بالداخلية، فحدَّد في دروس العام الأول اللسانيات بالسلب مستخلصاً مظاهر التعارض بينها وبين علوم أخرى كالنحو والفيلولوجيا والأنتروبولوجيا والإثنولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع. وكان الهدف من التعريف الخارجي إبراز ما ليس لسانيات والتركيز على موضوع المعارف التي تشترك معها CLG/Engler, 1, p. 19. IR.11. cf aussi PCLG/Komatsu, p. 1) (. أما في دروس العام الثاني فاعتبر أن الطريقة الخارجية أو التحليلية غير مجدية لأنها لم توصل يوماً إلى شيء مفيد، مقترحاً الانطلاق من طبيعة اللسان الداخلية كسِمة نوعية مُميزة لتحديد اللسانيات، ذلك أن السعي إلى دراسة الألسن واللسان واللغة من جميع الجوانب وفي جميع الاتجاهات يقود إلى نتيجة عكسية تَماماً قد تكون القضاء النهائي على اللسانيات نفسها. فالعلوم المجاورة يمكنها أن تدَّعي أحقيتها في دراسة هذا الجزء أو ذاك من اللسانيات. وإذا حصل هذا الأمر، فإن اللسانيات ستصبح دون موضوع (CLG/ Engler, 1, p. 30). ولإعطاء اللسانيات المكانة اللائقة بِها، يَجب النظر إلى اللسان في جانبه المركزي المُتمثل في أنَّه نسق من العلامات المعبرة عن أفكار أو على الأصح «نسق من القيم وهو ما يَجعل اللسانيات تندرج في إطار السيميولوجيا كعلم يدرس العلامات (DCLG/ Komatsu, p. 7) . وأياً

كانت الطبيعة النوعية للسان ضمن أنساق العلامات، فعندما نتصوره نسقاً من القيم نكون قد ثبتنا مكانته. (DCLG/ Komatsu, p. 118). ويشير سوسير إلى العلاقات التي يجب أن تقيمها اللسانيات مع بعض العلوم في سياق تفاعل بينها يفضي بالضرورة إلى تبادل المعلومات والمعطيات والأدوات الإجرائية في إطار واضح للمجال الذي يشتغل به كل علم على حدة. (DCLG/ Komatsu. p. 7) ومن ثمة يتعين على اللسانيات أن تُحدد موضوعها وتضبط مَجالها وتُعرِّف نفسَها بنفسها (CLG/ Engler, 1, p. 20, D4, J2109, IIIC8.)

ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها، تعْكِس المصادر الأصول حركية فكر سوسير وتساؤلاته المتجددة. «تقرأ في الصفحة اليمنى من دفاتر الطلبة قضية، وتقرأ في اليسرى نقيضها؛ ليس ثَمة أي تركيب». إنَّها عظمة سوسير على حد تعبير ياكبسن. (Fehr, 2000, p. 81).

وجدَّد سوسير في آخر دروس العام الثالث (حصة مايو 1911) تصوره العام الذي اتَّبعه حتى الآن مُعْلناً عن تَمَفْصُل جديد للاستدلال المُتعلق بأحد الإشكالات الجوهرية في لسانياته متحولاً من تعامله مع اللسان من البسيط باعتباره نسقاً من العلامة إلى ما هو مركب فيه باعتباره «نسقاً من القيم»، ومنبهاً إلى أن الطريقة التي اتبعها في دروس العام الأول لم تكن صائبة من النَّاحية التصورية، إذ «لا ينبغي أن نبدأ بالكلمة أو الحد terme لنستنتج النسق، لأن ذلك يعني أننا نتصور أن الحدود termes لها قيمة مطلقة مسبقاً، وأنه للحصول على النسق يكفي أن نقوم برصها وبنائها الواحد فوق الواحد. يَجِب الانطلاق على العكس من ذلك، من النَّسق ومن الكُل المترابط. إن هذا الأخير يتحلل إلى حدود، وهو ما لا يعني-كما قد يبدو- أنَّه من السَّهل أنْ نستخلصها. وحين ننطلق من الكل، أي من نسق القيم لنستخلص مُختلف القيم» يمكننا أن نَجِد الكلمات بوصفها سلسلة من الحدود. (TCLG/Komatsu, p. 134)

وبهذا يكون سوسير قد غيَّر وجهة نظره ومنظوره العام ليعود مُجدداً إلى التَّصور الذي سبق أن أعلن عنه في دروس العام الثاني والقائم على مبدإ «تعقيد اللسان complexité de la langue كنسق من العلاقات (القيم) ليصل إلى مفهوم العلامة ككيان مُعقَّد. فالنسق يقود إلى اللفظ الذي يقود بدوره إلى القيمة. وتكتسي هذه الرؤية الجديدة للسان أهمية نظرية بالغة الأهمية نظراً لِما تَحمله من تحول نظري هام. فهي تُعَدُّ بِمثابة قطيعة إبستمولوجية بين مضامين دروس العام الأول ودروس العامين التاليين ولاسيما دروس العام الثالث. نحن أمام مقاربتين مُختلفتين: مقاربة سيميولوجية ومقاربة لسانية. تهتم الأولى باللسان كنسق سيميولوجي، بينما تبحث الثانية في اللسان لا كحدث أو صيرورة procès وإنَّما من خلال الطبيعة المُركبة للعلامة سواء كدال ومدلول أو في علاقتها بالعلامات الأخرى. (Amacker, 1975, p. 156)

لكن الناشرين تجاهلا هذه الحركية، فبدءا بتعريف اللسان على أساس أنه نسق من العلامات ذات وجهين: دال ومدلول، ليخلصا بعد ذلك إلى أن «اللِّسان نسقٌ من القيَّم»، أي أنَّ مُنطلقهما يَختلف عن منطلق سوسير القائم على تَحْديد الطبيعة المعقدة للنسق أولاً، ثم المرور إلى تَحديد العلامة وتعقيداتها ثانياً. ولم تأخذ طبعة 1916 بعين الاعتبار إلحاح الأستاذ في نهاية دروس العام الثالث على أن «اللسان نسَق من القِيم»، ومن ثم لمْ يضعا هذا التحول في الإطار النظري والمنْهجي اللائق به انسجاماً مع مجمل تصورات سوسير في دروسه. (Petroff, 2007, p. 36) وكان لتجاهل مثل هذه التحولات أثر بالغ في عدم إدراك الناشرين لتعامل سوسير مع بعض

القضايا. فقد أدرج سوسير القياس ضمن اللسانيات التعاقبية تارة واللسانيات التزامنية تارة أخرى. ولما كان اللسان نسقاً من العلامات فإن ظهور صيغ جديدة نتيجة للقياس الذي يغير العلاقات القائمة بين الكلمات مِّما يقود إلى تغير النسق اللغوي برمته، ليصبح القياس عاملاً حاسماً في التحول transformation اللغوي مما يجعله في صلب مباحث اللسانيات التعاقبية. غير أن وضع مفردات جديدة على منوال أخرى موجودة في النسق يعني إدخال قيم جديدة انطلاقاً من أن الكلمة الواحدة تتحدد في إطار علاقاتها السياقية والترابطية بغيرها. ولأن القيم التي استخدمت لتوليد كلمات جديدة هي القيم نفسها السائدة في آنية معينة فإن القياس يصبح موضوع اللسانيات السانكرونية. أما الناشران فإنهما لم يلتفتا لهذه التحولات، فأبقيا على التصور الذي يحدد اللسان في أنه نسق من العلامات وهو تصور تم تجاوزه في نهاية الدروس (لصالح اللسان كنسق من القيم)، وهذا ما يفسر احتفاظهما بظاهرة القياس ضمن اللسانيات الدياكرونية. ومن الأمثلة البارزة لما يوحي به فكر سوسير من ثبات وسكونية في نص دروس تقديم الناشرين لتَّمييز اللسانيات التزامنية عن اللسانيات التعاقبية، وهو تقديم كانت له آثار سلبية على تلقي تصورات سوسير وتحديداً ما نجم عنه من فصل صارم بين التزامن والتعاقب. يستند تقديم دروس أساساً إلى دروس العام الأول (1907) وفيها ميز سوسير دراسة اللسان المنظور التزامني عن المنظور التعاقبي مشيراً إلى» أنَّ الأفراد المتكلمين ليس لهم من الناحية العملية أيُّ وعي بالتاريخ» PCLG/Komatsu, p. 71.

وعاد سزسير في العام الثالث ليؤكد مُجدِّداً مضمون الفكرة التي سبق له أن عبَّر عنها في دروس العام الأول قائلاً: «عندما نتموضع من وجهة نظر الفَرْد المُتكلم، فإنَّ سلسلةَ الوقائع في الزمان شيء لا وجود له. فالفرد يكون أمام حالةEtat وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللساني الذي يَجب أن يقوم بِمسح كل ما هو تعاقبي لكل ما أنتج حالة في الزمان». ولكي يفهم اللساني نفسه تلك الحالة لا يُمكنه أن يلِج وعْي أفراد المتكلمين إلاَّ إذا تبنَّى وجْهة النظر التي تتجاهل البدايات TCLG/Komatsu, p. 107 وعبر سوسير عن الفكرة نفسها: « بالنسبة للكتلة المتكلمة فإن المنظور الذي تظهر فيه الألفاظ هو الواقع وليس شبحاً أو ظلاً، ومن جهة ثانية يجب على الباحث اللساني إن هو أراد أن يفهم حالة لسان أن يضع نفسه في هذا المنظور (التزامني) وأن يترك المنظور الدياكروني والتاريخي الذي سيكون بالنسبة إليه عائقاً ومانعاً Ibidem, p .125. ويتضح من المصادر الأصول أن الصياغة النهائية لقضايا اللسانيات التعاقبية عند سوسير لم تتِم إلا قبيل نِهاية سنة 1911، (TCLG/ Komatsu, p 210.) وهي صياغة تَختلف في مَضْمونها عمَّا سبق عرضه في دروس العام الأول (1907). فقد أشار سوسير في دروس العام الثالث إلى أنَّ التَّحولات التَّاريخيَّة (اللسانيات التعاقبية) لا تنْحصر في الجانب الصوتي للوحدات اللغوية أو في الإبداع القياسي، وإنَّما تُؤثِّر في النَّسق اللغوي بِرمَّته؛ سواء فيما يَخص العلاقة بين الوحدات اللغوية (أي القيَّم) أو تطور العلاقة بين وجهي العلامة الواحدة أي الدال والمدلول. ويُمكن لهذه التغيرات النحوية والدلالية أن تقع دون تدخل التغير الصوتي الذي يكون في الغالب الأعم نتيجة لصيرورة تاريخية. ويبدو أنَّ المُعادلة التي استخلصها الناشران من كلام سوسير بأن ما هو تعاقبي يرتبط بِما هو تغيير في الأصوات ولا يَمس في شيء ما هو نَحوي دلالي معادلة غير سليمة. لقد أغفل الناشران الإشارة إلى الأهمية التي أولاها سوسير للدراسة التعاقبية ودورها البالغ في دراسة اللغة منذ دروس العام الأول (1907). وبعد أن فرق بين منظورين وفَصَل بينهما فصْلاً جذرياً، ألح في القول على ضرورة البَدْء بالدِّراسة التعاقبية لأنَّه» من الأفْضل أنْ تبْدأ دراسة اللسان بالوِجْهة التَّاريخية، ليس

لأنَّها أهم من المنظور السكوني الذي تتعارض معه وحسب، بل لأنَّ اللسان ينفلت من أيدينا .(/PCLG Komatsu, p. 27).

وأياً كان الفصل الجذري بين المنظورين الذي عبَّر عنه سوسير في دروس العام الأول F. de Saussure, PCLG/Komatsu, p. 107. فإنَّ ملحوظات الطلبة تكشف بوضوح عن إلحاح قوي لدى الأستاذ على أنَّ الحقيقة التي يُمكن أن نتوصَّل إليها في المنظور التزامني لا تُلغي الحقيقة الأخرى المُتوصل إليها في المنظور التعاقبي والعكس صحيح

F. de Saussure, TCLG/Komatsu, p. 121.

ويبدو أن الناشرين فهما كلام سوسير السابق على أنه إشارة قوية إلى أهمية المنظور التزامني وأسبقيته في دراسة اللغة معتبرين كلامه في سياق معرفي هيمن فيه التحليل التاريخي تصوراً مغايراً ومتميزاً. وبإعطائهما الأولوية للسانيات التزامنية، قاما بتنزيل كلام سوسير بشكل يتوافق مع انشغالهما بالتجديد النظري للدراسات التزامنية والدعوة المُلحة إليها.

9 - سكونية دروس

على الرغم من التحولات المعرفية؛ فإنَّ نشرة بالي تقدِّم إلى قارئها تصورات سوسير كنظرية لسانية جاهزة ومتجانسة ومُكتَملة الصياغة، بينما نعرف أنَّ الرجل كان يعيش مَخاضاً نَظرياً ومَنْهجياً من أبرز مؤشراته عبارات التردد والتكرار التي طبعت أسلوبه. وتؤشر أسئلة سوسير المتغيرة باستمرار وتأرجح مواقفه وتردده القَلق على سلوك عالم باحث عن حقيقة الأمور وليس مُجرَّد مُنَظِّر يَسْعى إلى تثبيت أجوبة نهائيَّة. إنَّه تَأرْجُح وتَنوع يجسدان لا فقط حركية التَّدرج النَّظري التي كان يجتازها سوسير متحولاً من صيرورة تأملية إلى أخرى؛ وإنما يبرز أساساً انعدام أية حقيقة أولى مُتَّفق عليها يُمكن باطمئنان الانطلاق منها في اللسانيات. يقول سوسير:» ينْبغي أنْ نَتَبنى نقطة انطلاق ثابتة ومُحدَّدة كي نُقدِّم مُجْمل فرضياتنا بشكل ملائم. لكن ما نَسْعى إلى تثبيته أنَّه من الخطإ أنْ نَقْبل في اللسانيات حدثاً Fait واحداً يكون مُحَدداً في ذاته. ثَمة في الواقع غيَّاب حتمي لأيِّة نُقْطة انْطلاق. وإذا رغِب القارئ في متابعة فكرنا بعناية في أقسام هذا المؤلف؛ فنحْن مُقْتَنعون أنَّه سيعْرف، إذا جاز لنا أنْ نُعبِّر بهذه الطَّريقَة أنَّه كان من المستحيل علينا أن نتبع ترتيباً دقيقاً جداً. ونَحن نستسمح القارِئ في أنْ نعْرض على أنظاره الفكرةَ نفسها ثلاث أو أربع مرات وبصيغ مُختلفة لأنَّه لا توجد حقيقةً أيَّة نقطة انطلاق نقيم عليها الاستدلال تكون أوضح من غَيْرها «[1]. (Saussure, 2002, p. 198). إن سوسير يُجسد -حسب ياكبسن- الشَّكَّاك الكبير le grand douteur الذي يرى دائماً في المسائل المدروسة جانبين. (Fehr, 2000, p. 81)

وتتكرر أمام قارئ دفاتر الطلبة دينامية فكرية لا تتوقف. لقد تحدث سوسير بشأن طبيعة اللسان في دروسه عن تصورين مُختلفين، أو على الأقل لا يَسيران في اتِّجاه واحد هما: اللسان كمؤسسة لا يُمكن مقارنتها بأي مؤسسة اجتماعية أخرى؛ ومن جهة ثانية: اللسان كنسق يُمكن دراسته في إطار أنساق سيميولوجية أخرى، أي إنه يَملك سِمات مشتركة مع أنساق سيميولوجية أخرى. وعلى هذا الأساس، نستطيع أن ندرك الأسْباب التي حدَت بالناشرين إلى إهمال المُقدِّمة السيميولوجية التي تحدثنا عنها سابقاً. فهما لم يستَوعِبا جيداً موقفين متباينين إزاء اللسان وخصائصه النوعية، ولم يتمكَّنا من التَّوفيق بيْنهما. وليْس معْنى هذا أنَّهما كانا يَجْهلان طبيعة تفكير أُسْتاذهما وزميلهما؛ وهما اللذان أشارا في تصدير نشرتهما إلى «إنَّ دي سوسير ينْتَمي إلى أولئك

(1) انظر تحقيق هذا المقطع والتعليق عليه في علاقته بنص الدروس في:
Saussure (2003- 2005) Notes pour un livre sur la linguistique générale. Présentation et édition par Kazuhiro Matsuzawa. in Bouquet (2003). p. 319.

الرِّجـال الَّذين لا يقفون عنْد حدٍّ. فقد تطورت أفكارُه في جميع الاتجاهات من غير أن تُناقِض نفْسَها نتيجة لذلك « (دي سوسير، 1985/1916، ص. 6).

لكن قارئ دروس لا يجد أي صدى لتردد سوسير وشكه في الوصـول إلى حلول نهائية للتساؤلات التي طرحها، ولم تستطع نشرة بالي أن تَمْنح تأملاته تلك الصورة النَّابضة بالحَيويـة التي كانت تبْحث لنفْسها عـن إطار نظري يَلفُّ أشْتاتَها ويَجْمع بين المُتقارب والمُتباعد منها. فالناشران يقدمان سوسير في دروس كصاحـب فكْر مُكْتمل ونهائي، سوسير الواثق في نفسه والصارم في التعبير عن مفاهيمه وتصوراتـه. وهو ما جعل سيـاق تفْكيره ساكِنـاً جامداً لا يَعْـرف أي توتُّر فكري أو قَلَق مَعْرِفي. نحن في دروس أمام فكـر واضـح وشفـاف، تظهر فيـه التصـورات والمفاهيم أقرب ما تكون إلى البَداهَة وفي متناول القارئ دون إعمال للفكـر. لكن ما يظهر مبتـذلاً في تصورات سوسير ويعتقد قـارئ دروس أنه يعرفه جيداً ليس إلا مظهراً خادعاً غالباً ما يضلل القارئ. فما إنْ ونُمْعِن النظر في مفاهيم سوسير منفردة أو في علاقتها بغيرها؛ حتى تتناسل الأسئلة ويقوم الغموضُ والتناقض حائلـين دون إدراك حقيقة أبعادها. وتكفي العودة لتتبع مفاهيم مثل اللغة واللسان والعلامة في كتابات سوسير لنلمس عمق الإشكالات وتشعبها. (غلفان 2016أ وب). وكان ياكبسـن على صـواب حين أشار إلى أنَّ التَّعْديـل الجوْهري في دروس يتجَلَّى في المنحى العام الذي اتُّبِعـه الناشـران في تغْيير أُسْلـوب سوسير، فحيث وضع هذا الأخير علامـة اسْتِفْهام، وَضَع النَّاشِران نقطةَ نِهاية. (Fehr, 2000, p. 81).

إن إهْمـال الدينامِيـة الدَّاخلية التـي لازمت تأملات سوسـير يَعْني ببساطـة أنَّ الناشرين كانـا يَتَصوَّران أنَّ الأستـاذ كان ينْطَلِقُ من نظرية لغوية جاهزة لم يبق على عاتقهما سوى تقديمها. كان هدَف النَّاشرِيْن عَرْض فكْر لسـاني تـام Achevé قابِـل لأنْ يُقدَّم لجمهـور القراء والمُهْتمين باللِّسانيات ومُحِبيها بكيفية مُحَدَّدة ونسقية.

وبـدلاً من العَمَل على تَقْديم فِكْر سوسير في تحولاته عبْر سنوات التدريس، حوَّل النَّاشِران المحاضرات إلى مؤلف عـام ذي طابـع تربوي، يظهـر كتقديم مُبسَّـط ومُبسِّط اختصـر لسانياتـه في ثنائيات معزولـة ومستقلة. ويبدو أنَّ دروسـ أُنْجِز من منْظـور تربوي يتوخى تقديم عرض نسقـي ومتماسك للسانيـات سوسير في صـورة ثنائيات مُحـدَّدة وواضحـة. لقد كان منظـور الناشريْـن في أدق تفاصيلـه مُتأثِّـراً بالرَّغبة في التوجُّـه إلى أكْبر عدَد من القُـرَّاء (Mounin, 1972, p. 60). مـا كان يتعـين عليهما حسب غـودل (1959, p. 131) ليس الإمساك بالصورة النهائية لفكر سوسير، وإنَّما بصيرورته وتردده وتنوعه، لاسيما وأن بعض الصعوبات التي اعترضت دروس والانتقادات التـي وجهت إلى لسانياته لم تكن غائبة عن ذهن صاحبها.

10 - استخفاف فيلولوجي

لم يَحْـرص الناشران على الدقة المطلوبة والتَّحري اللازمين في إخـراج الدروس كما هي مُدوَّنة في المصادر الأصـول. وبعـد أن فحص غـودل (Godel, 1959) مصـادر الناشريـن وتتبَّـع الظـروف العامـة المحيطة بعملهمـا، انتهي إلى »أن ثلاث سنوات (...) كانت كافية للناشرين لإعـداد الكتاب وتَحريـره وطبعه وتصحيحه؛ وهـو ما يشهـد على نوع مـن العجلة علماً بـأنَّ بالي كان منشغـلاً منـذ أسدس الخريـف 1913-1914 بدروسه كأستاذ كرسي خلفاً لسوسير. (p. 96) « واعتبر البعض أنـه «إذا كان عزل النص عن السيـاق يعني حتماً تزوير النص، فربَّما يُواجِه مُحقِّقو سوسير تُهَماً عظيمة في هذا المجال، لأنَّ إخفاء جُزْء جَوْهري من المُقرَّر (الدروس) (يقصـد المقدمـة السيميولوجية) لا يُمكـن أنْ يَرْقى إلى مستـوى مُمارسـات التَّحقيق المعهـودة» (هاريس، 2016/2003، صـ. 51). ووصـف دارس آخر إخراج نص دروس بأنه يجسد استخفافاً فيلولوجياً (Rastier, 2009 , 2012 et, 2015).

- خاتمة

مـن النتائج المباشـرة لإعادة قـراءة نص دروس في ضوء المصادر الأصول نذكر ما يلي:

أ-ظهور مَجموعة من التأويلات الجديدة تخص مفاهيم سوسير وتصوراته.

ب-توضيـح الجوانب الغامضـة في التصورات والمفاهيم الواردة في نص دروس.

ج -إعادة النظر في تأويل الثنائيات الشهيرة،

د –تقـديم لسانيـات سوسير كمنظومـة نظرية متكاملة قابلة لأن يُنظر إليها في سياق الإنجازات التي حققتها اللسانيات في مرحلة ما بعد البنيوية بعد بروز النحو التوليدي وتحليل الخطاب والتداولية.

هـ-مُحاولَـة إدْماج تصورات سوسـير في خِضَم تحولات اللسانيات وانفتاحها على فلسفة اللغة العادية وقضايا التأويـل بكل أبعـاده وجوانبـه اللغويـة والاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجية.

وكان للمقاربة الفيلولوجيـة التي دشنها غودل وسار عليها أنغلر ودو مورو وآخرون نتائج مباشرة أبرزها:

أ – العودة إلى سوسير ونصوصه بشكل لافت للنظر؛

ب – إغنـاء مضامين نصِّ دروس في اللسانيات بالعديد من النصوص المُكملة له.

ج – خلخلـة كثير مـن الأحكام والمواقـف إزاء لسانيات سوسير.

وبالرغـم مما كتـب عن نشـرة بالي، فـإن المرء لا يُمكنـه إلا أن يبدي إعجابه الشديـد بالبراعة التي نَجح بِها الناشران في «تَحويل مادة متنافرة ومفككة وغامضة إلى حـد ما إلى نـثر سَلِس وواضح لافت للنظـر أحياناً « (هاريس، 2016/2003، ص. 65). لقد استطاعا تقديم أفْضل نصّ متكامل للسانيات سوسير، إذ يعدُّ نص دروس تأويلاً يُجَسِّدُ فَهْـم الناشرَيْن لتَصوُّرات الرَّجل في سياق معرفي محـدد، أي-حسب تعبـير أنغلر-سوسير 1916 المُناسِب للِسانيَّـات الفَتْرة الواقِعة بين 1916 و 1957 (Engler، 2003, p. 18)ومن جهة ثانية، لم يعد من المقبـول بعد ظهور أعمال غودل وأنغلر ودو مورو وغيرهم أن تُنْسـب إلى سوسير أي عبارة مـن دروس دون التَّثبت من أنَّها ليست ببساطة من تَحرير الناشرين (Petroff, 2007) . ويتضـح أنَّ الطبعة الشائعة لم تعدْ لا كافية ولا ملائمة لفَهْم تصورات سوسير وتحديد دقائق المفاهيم التـي تضمَّنتها. لقد أصبحت لسانيـات سوسير في ضوء المصـادر الأصـول قابلة لتلقـي مُغايِر يتشـكل في صورة تختلـف عن الصورة النمطية التي رسَمتها له نشرة بالي وزميله زهاء ما يزيد عن نصف قرن.

قائمة المراجع

-أريفيه ميشال (2009) البحـث عن سوسير، بيروت، دار الكتـاب الجديـد المتحدة، (ترجمـة محمود خير البقاعي)

-غلفـان مصطفـى (2014) اللسانيـات البنيويـة، منهجيـات واتجاهات، بـيروت، دار الكتـاب الجديد المتحدة.

-غلفـان مصطفى (2017أ) لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة.

-غلفـان مصطفى (2017ب) اللغـة واللسان والعلامة عند سوسـير في ضوء المصادر الأصـول. بيروت. دار الكتاب الجديد المتحدة.

- هاريـس روي (2016/2001) سوسـير ومؤولـوه، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ترجمة أ. شاكر الكلابي قيد الطبع ،)

- سوسير (1916/ 1985). دروس في الألسنية العامة. تونس. الدار العربية للكتاب. (ترجمة محمد الشاوش ومحمد عجينة، مراجعة صالح القرمادي).

Paris, Payot, 1974, (Edition critique préparée par Tullio de Mauro.

CLG/ Engler = Saussure, Ferdinand de (1916) Cours de linguistique générale, Tome 1, (1968) Tome 2 Appendice, (1974) Notes de F. de Saussure sur la linguistique générale, Edition critique par Rudolf Engler, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

Engler, Rudolf (2003) Polyphonie, Simon Bouquet, éd. (2003). 1619-.

Fehr, Johannes (2000) Saussure entre linguistique et sémiologie, Paris, PUF.

Gambarara, Daniele (2005) Un texte original, CFS, 58, Paris, Droz. 2942-.

Godel, R (1954) Notes inédites de F, de Saussure, CFS, 12, Paris, Droz. 4971-,

Godel, Robert (1959/ 1969) Les sources manuscrites du CLG de F. de Saussure, Genève, Droz.

Mejia Quijano, Claudia (2005) Sous le signe du doute, Présentation des textes d'Emile Constantin, CFS 58, Paris, Droz. 4951-.

Pergnier, Maurice (2012) De Saussure à Saussure, Bruxelles, Editions l'Age de l'Homme.

Pétroff, André–Jean (2004) Saussure : la langue, l›ordre et le désordre, Paris, L›Harmattan.

References bibliographiques

Amacker, René (1975) La linguistique saussurienne, Genève, Droz.

Bouquet, Simon (1997) Introduction à la lecture de Saussure, Paris, Payot.

(2003) Saussure un siècle après, in Simon Bouquet éd. (2003).

éd. (2003) Saussure, Cahiers L'Herne 76, Paris.

Bergounioux, Gabriel (1993) Le tournant psychologique de la linguistique saussurienne: l'exemple de Bally et Sechehaye, Communication du 11 juin 1993 au Colloque, La psychologie et ses frontières du XIX ième siècle à nos jours, Actes polygraphiés du colloque. 361-377.

Calvet, Louis Jean (1974) Pour et contre Saussure, Paris, Payot.

Constantin, Emile (2005) Linguistique générale, Cours de M. le Professeur de Saussure, 19101911-, CFS, 58.Paris, Droz. 83290-. Suivi de Saussure, F. de : Notes préparatoires pour le cours de linguistique générale 19101911-. (Texte établi par Gambarara, D et Mejía Quijano, C).

CLG/ De Mauro =Saussure, Ferdinand (1916) Cours de linguistique générale,

1909) Introduction d' après des notes d'étudiants, CFS, 15, Genève, Droz. 6-103.

Saussure. F de (1993) Saussure's Third Course of Lectures on General Linguistics (19101911-) From the Notebooks of Emile Constantin, Edited and translated by Eisuke Komatsu and Roy Harris, Oxford, New York, Pergamon = (TCLG/ Komatsu).

Saussure, F. de (1996) Saussure's, First Course of Lectures on General Linguistics (1907) From the Notebooks of Albert Riedlinger, Edited and translated by Eisuke Komatsu and George Wolf, Oxford, New York, Pergamon, = (PCLG/ Komatsu).

Saussure, F. de (2002) Ecrits de linguistique générale (= ELG), Paris, Gallimard, (Texte anoté par S. Bouquet et R. Engler).

Pétroff, André–Jean (2007) L'autre Saussure, in Siemen, http//semen, Revues, org/ 4281.

Rastier, François (2003) Le silence de Saussure ou l'ontologie refusée, in Simon Bouquet, éd. (2003) Saussure, Cahier de l'Herne 76, Paris. 2351-.

Rastier, François (2005) Saussure au futur, Ecrits retrouvés et nouvelles réceptions, Texto! http://www,revue-texto,net/ Saussure/ Sur Saussure / Rastier_Saussure, html.

François Rastier,2009.Saussure et les textes- De la philologie des textes saussuriennes et la théorie saussurienne des textes, Texto (revue- texto.net, volume, XIV, n°3, 2009.

Rastier, François (2012) Lire les textes de Saussure, Langages 185, Paris, A. Colin. 720-.

Rastier, François (2015) Saussure au futur, Paris, Les Belles Lettres, (Collection encre marin) .

Rousseau, André (2006) Saussure descripteur des langues à la lumière d'un cours inédit sur le gotique, in Louis de Saussure (2006) Nouveaux regards sur Saussure, Genève, Droz.7194-.

Saussure, Ferdinand de (1957) Cours de linguistique générale, Cours II (1908-